ملخص البحث:

تناول هذا البحث العناصر الرئيسة للتوسل، وهي:

- **أولاً**: تعريف الوسيلة لغة واصطلاحاً مع بيان حقيقتها وأدلتها وأقوال العلماء فيها.
- **ثانياً**: أنواع التوسل المشروع كالتوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا وبالأعمال الصالحة الخالصة لوجه الله – تعالى– بالإضافة إلى التوسل بدعاء من يُرتجى إجابة دعائه ممن اشتهر بالصلاح والتقوى.
- **ثالثاً**: أنواع التوسل غير المشروع(الممنوع)، ومن ذلك التوسل بذوات المخلوقين–أياً كان ذلك المخلوق – أو التوسل بحق فلان أو جاهه أو منزلته وقربه من الله – ﷻ–، أو الإقسام على الله — تعالى– بأحدٍ من خلقه، ومن ثم التوسل بالأولياء، مع بيان مخالفة ذلك للأدلة الصحيحة ويرفضه المنقول وتأباه العقول.
- **رابعاً**: خُتم هذا البحث بخاتمة مختصرة لأهم النتائج التي توصل إليها الباحث ويليها المراجع والهوامش.

Allowed and Prohibited Soliciting in Islamic Aqidah

Dr. Mohammed Ali Salman Alwusabi
Assistant Professor – Sana'a University

Abstract:
This research discusses the main points about soliciting which are:

- Firstly: Identifying the meaning of Soliciting linguistically and conventionality, and stating its nature, proofs and what scholars say about it.
- Secondly: Types of allowed soliciting likesoliciting by the Names of Allah and his Attributes, and good deeds that are faithful to Allah. Also soliciting by the supplication of a good man whose supplication is hoped to be answered.
- Thirdly: Types of prohibited(forbidden) soliciting including soliciting by the created(whatever it may be), or soliciting by someone's right, prestige, statusor closeness to Allah, or swearing on Allah by one of his created, or soliciting by patriarchs. Also clarifying how that is against the true proofs and rejected by minds.
- Fourthly: The research was concluded with a brief conclusion containing the most important outcomes reached by the researcher through this research, followed by the references and margins.

المقدمة:

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله . ﷺ بعثه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، أما بعد:

فإن التوسل إلى الله – تعالى – أصل من أصول الدين ومبدأ من مبادئ العقيدة الإسلامية، وقد خلط فيه الكثير من الناس إما بعلم أو بغير علم، وقد يكون سبب ذلك اعتماد الأحاديث الضعيفة والموضوعة، أو عدم فهم الأحاديث الصحيحة، ووجود بعض القناعات التي توارثتها بعض الفرق: مثل كثير من الصوفية والناتجة عن الغلو عن تعظيم بعض الأفراد، في حين أن سلف الأمة وعلماءها قد بينوا التوسل المشروع وأنواعه ولم يكتفوا بذلك بل أكدوا أن كل توسل خالف التوسلات المشروعة فهو توسل بدعي أو شركي مخرج من الملة الإسلامية والعياذ بالله.

وقد أوضح الباحث في هذا البحث كل ذلك بالأدلة اللازمة والآراء المفيدة لبعض فقهاء وعلماء هذه الأمة قديماً وحديثاً وبذل في ذلك جهداً كبيراً.

أسأل الله – ﷻ – أن ينفع بهذا البحث الإسلام والمسلمين وأن يكون ذلك في ميزان حسنات الباحث يوم القيامة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في:

١. تقديم رؤية واضحة عن التوسل المشروع الذي ينبغي للمتوسل أن يتوسل به إلى الله . جل وعلا.

٢. تقديم رؤية واضحة عن التوسل غير المشروع الذي ينبغي للمتوسل أن يتجنبه.

٣. عرض المباحث والمطالب بشكل مفصل وواضح.

أهداف البحث: يهدف البحث الحالي إلى:

١ـ تعريف الإنسان المسلم التوسل المشروع وغير المشروع في ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة.

٢. توضيح ما اختلط على الأمة في التوسل وأنواعه.

٣. توضيح للقارئ بما يكون التوسل إلى الله ـ تعالى ..

خطة البحث:ـ

تحتوي خطة البحث على مبحثين فيهما العديد من المطالب، وهي كالآتي:

المبحث الأول: الوسيلة لغة واصطلاحاً والتوسلات المشروعة

ويحتوي على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الوسيلة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: التوسل إلى الله – تعالى – بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا.

المطلب الثالث: التوسل إلى . الله – تعالى – بالعمل الصالح.

المطلب الرابع: التوسل إلى الله – تعالى– بدعاء الصالحين.

المبحث الثاني: التوسل غير المشروع

ويحتوي على أربعة مطالب:

المطلب الأول: التوسل إلى ـ الله – تعالى – بذوات المخلوقين.

المطلب الثاني: التوسل إلى الله – تعالى – بحق فلان أو جاهه.

المطلب الثالث: الإقسام على الله – تعالى– بأحد من خلقه.

المطلب الرابع: التوسل بالأولياء.

الخاتمة والتوصيات.

المبحث الأول: الوسيلة لغة واصطلاحاً والتوسلات المشروعة

ويحتوي على أربعة مطالب:

المطلب الأول: الوسيلة لغة وشرعاً

الوسيلة لغة: التقرب، ويقال: وسَّل، فلان إلى ربه وسيلة: أي عمل عملاً تقرب به إليه – ﷻ–، ومثله توسَّل. والجمع: وسائل والتوسيل والتوسُّل واحد.(١)

والوسيلة: على وزن(فعيلة) من توسلت إليه، أي: تقرَّبتُ إليه، وهي التوصُّل إلى الشيء برغبة، وهي أخصُّ من الوصيلة لتضمنها معنى الرغبة.

قال تعالى:﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾المائدة: ٣٥ أي: القربة التي ينبغي أن يطلب بها.

وحقيقة التوسل إلى الله – ﷻ–: مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحرى مكارم الشريعة، وهي كالقربة. والواسل: الراغب إلى الله – ﷻ–. والوسيلة: درجة في الجنة.(٢)

---

(١) مختار الصحاح، لأبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت٦٦٦هـ)، مكتبة الإيمان، المنصورة (ط. الأولى، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م) ص٣٩٥، المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، دار الدعوة، استنابول، تركيا (د.ط، ت) ص١٠٣٢.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (٤٢٥هـ)، تحقيق/ صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت (ط. الأولى ١٤١٦هـ١٩٩٦م) ص٨٧١. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد القرطبي (ت٦٧١)، راجعه وخرج أحاديثه / محمد إبراهيم الحفناوي ومحمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة (د.ط) (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) ٥١٨/٣.

قلت: جاء في الحديث: أن النبي ﷺ قال:((من قال حين يسمع النداء: اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلَّت له شفاعتي يوم القيامة))[١].

وقال ﷺ:((إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ؛ فإن من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة))[٢].

قال العلماء: والوسيلة هي ما يتقرب به إلى الكبير، يقال: توسلت إليه، أي: تقرَّبتُ إليه، وتطلق على المنزلة العلية.[٣]

والظاهر: أن الوسيلة التي هي القربة تصدق على التقوى وعلى غيرها من خصال الخير التي يتقرب بها العباد إلى ربهم.[٤]

الوسيلة شرعاً: هي ما يتقرَّبُ به إلى الغير.[١] ولكن التوسل قد يكون خاصا بالتقرب إلى الله – ﷻ–. والوسيلة هي السبب الموصل إلى المقصود[٢]، ولا يتقرب العباد

---

(١) صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، راجعه/ محمد علي قطب وهشام البخاري، مكتبة العبيكان، الرياض ،ط. الثانية، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء رقم (٦١٤).

(٢) صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ)، اعتنى به/ محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفاء، القاهرة (ط. الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م)، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه رقم (٣٨٤).

(٣) فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، اعتنى به / محمود بن الجميل، مكتبة الصفاء، القاهرة (ط. الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م) ١١٩/٢.

(٤) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار الفكر، بيروت (د.ط، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) ٣٨/٢.

إلى ربهم إلا بما شرعه الله – تعالى– في كتابه العزيز أو بينه الرسول ﷺ في السنة المطهرة؛ لأنه لا يعلم كون الشيء وسيلة أو غير وسيلة إلا عن طريق الشرع، فمن جعل شيئاً من الأمور وسيلة يتقرب بها إلى الله –ﷻ– في قبول دعائه بدون دليل من الشرع، فقد قال على الله– تعالى – ما لا يعلم؛ إذ كيف يدري أن ما جعله وسيلة مما يرضاه الله –ﷻ– ويكون سبباً في قبول دعائه، وقد أنكر الله – تعالى– على من اتبع شرعاً بدون إذنه وجعله من الشرك، قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾الشورى: ٢١، وعلى هذا فلا بد لأي وسيلة يتوسل بها العبد إلى ربه من دليل صحيح من الكتاب والسنة.(٣)

إذاً فالتوسل المشروع هو الذي أمر الله – تعالى– بابتغائه من الواجبات والمستحبات، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ المائدة: ٣٥،وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل فيه سواء كان محرماً أو مكروهاً أو مباحاً. وجماع الوسيلة الشرعية هو: التوسل باتباع ما جاء به الرسول ﷺ.(٤)

وبناء على ذلك فإن التوسل ينقسم إلى توسل مشروع وتوسل غير مشروع(ممنوع):

---

(١) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني (ت٨١٦هـ)، تحقيق/ إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت (ط. الأولى، ١٤٠٥هـ) ص ٣٢٦.

(٢) التوسل ضمن رسائل في العقيدة، محمد صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، تحقيق/ هاني الحاج، مكتبة العلم، القاهرة (ط. الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م) ص١٥٧. أصول الدين عند أبي حنيفة، محمد بن عبد الرحمن الخميّس، دار الصميعي، الرياض (ط. الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م) ص٢٦٨.

(٣) منهج الإمام الشوكاني في العقيدة، عبد الله نومسوك، مؤسسة الرسالة، بيروت (ط. الثانية، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م) ٣١٢/١، ٣١٤.

(٤) دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية، عبد الله بن صالح الغصن، دار ابن الجوزي، الدمام (ط. الأولى، ١٤٢٤هـ) ص٤١٠.

والتوسل المشروع هو ما جاءت به الشريعة وقام عليه دليل من الشرع، ويدخل تحته ثلاثة أنواع وتفصيلها في المطلب الثاني والثالث والرابع.

المطلب الثاني: التوسل إلى الله– تعالى– بأسمائه الحسنى وصفاته العلا

وهو ما يتخذ وسيلة لإجابة الدعاء، وذلك على نوعين:

أولاً: التوسل بأسمائه الحسنى – ﷻ–، بحيث يتوسل العبد إلى الله . سبحانه . بذكر اسم من أسمائه المقتضية مطلوبه كأن يقول في دعائه: ا للهم يا رحيم ارحمني ويا غفور اغفر لي ويا كريم أكرمني. أو أن يقول: اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم اللطيف الخبير أن تعافيني.(١)

والأدلة على مشروعية هذا النوع من التوسل كثيرة من القرآن والسنة، ومن ذلك:

قوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾الأعراف: ١٨٠،جاء في تفسيرها: إنها مشتملة على الإخبار من الله – ﷻ– بما له من الأسماء على الجملة دون التفصيل، والحسنى تأنيث الأحسن، أي: التي هي أحسن الأسماء لدلالتها على أحسن مسمى وأشرف مدلول، ثم أمرهم بأن يدعوه بها عند الحاجة، فإنه إذا دعي بأحسن أسمائه كان ذلك من أسباب الإجابة(٢).

قوله:﴿ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾الأعراف: ١٨٠،أي: اطلبوا منه – ﷻ– بأسمائه، فيطلب بكل اسم ما يليق به، فتقول: يا رحيم أرحمني، يا حَكِيمَ أَحكُم لِي، يا رزاق أرزقني، يا هادي أهدني، يا تواب تب عليَّ، فإن دعوت باسم عام، فقلت: يا مالك أرحمني، يا عزيز أحكم لي، يا لطيف أرزقني، وإن دعوت بالأعظم، فقلت: يا الله، فدعاؤك متضمن

---

(١) أصول الدين عند أبي حنيفة، محمد الخميَّس ص٢٦٨، منهج الإمام الشوكاني في العقيدة، عبد اللهنومسوك ٣١٤/١.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ٢٦٨/٢.

الاسماء كلها، ولا تقول يا رزاق أهدني، إلا أن تريد يا رزاق أرزقني الخير، وهكذا رتب دعاءك تكن مصيبا.[١]

وفي الحديث: أن رجلاً قال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ ((لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أَعطَى))[٢].

وقال ﷺ:((ما أصاب عبداً قط همٌّ ولا حُزنٌ، فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيَّ حكمك عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجاً))[٣].

والتوسل بأسماء الله الحسنى إما على سبيل العموم كما في الحديث حيث قال فيه ((أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك)). أو باسم معين كأن تقول: يا غفور أغفر لي، يا رحيم أرحمني، اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٤/٢٨١.

(٢) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد، مذيلة بأحكام الألباني عليها، دار الفكر، بيروت (د.ط،ت) ١/٤٧٠ رقم (١٤٩٥) وقال الألباني: صحيح، والمسند، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، مذيل بأحكام شعيب الأرنؤوط، مؤسسة قرطبة، القاهرة (د،ط،ت) ٣/١٨٥ رقم (١٢٦٣٢) وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح وإسناده قوي.

(٣) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لأبي حاتم محمد بن حبان التميمي (ت٣٥٤)، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت (ط، الثانية، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م) ٣/٢٥٣ رقم (٩٧٢) وقال المحقق: إسناده صحيح. والسلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض (د،ط،ت) ١/٣٨٣ رقم (١٩٩) وقال: رواه أحمد وهو صحيح.

وفي هذا النوع من التوسل المعين يجب أن يكون الاسم مناسباً للدعاء، فإذا أردت أن تسأل العزة تقول: يا عزيز، والمغفرة يا غفور، والعفو يا عفو، وهكذا.

لكن لو قلت: اللهم يا شديد العقاب اعف عني، فهذا غير مناسب، فكيف تتوسل باسم يدل على العقوبة إلى عفو الله – ﷻ – إنما تدعو الله – تعالى – بالأسماء المناسبة لما تدعو به.(١)

ثانياً: التوسل إلى الله – ﷻ – بصفاته العلا المقتضية لمطلوبه سواء كان ذلك على سبيل العموم أو بصفة خاصة.

فمثال العموم: كأن يقول الإنسان: اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا، ثم يذكر مراده وطلبه، وهذا التوسل صحيح.

ومثال الخاص: كقول النبي ﷺ: ((أعوذُ بعزة الله وقدرته من شرِّ ما أجدُ وأحاذر))(٢). فالعزة والقدرة من صفات الله(٣).

أو أن يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني وتغفر لي، أو أن يقول: أسألك بحبك لمحمد ﷺ أن تغفر لي وترحمني وتعافيني، فإن الحب من صفاته – تعالى –(٤).

---

(١) التوسل، ابن عثيمين، ص ١٥٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحة، كتاب السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء رقم(٢٢٠٢) بنص (أعوذ بالله وقدرته..)، وابن ماجه في سننه، لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، مذيلة بأحكام الألباني عليها، دار الفكر، بيروت (د،ط،ت) ١١٦٣/٢ رقم (٣٥٢٢) وقال الألباني صحيح.

(٣) التوسل، ابن عثيمين ص١٥٩.

(٤) التوسل أنواعه وأحكامه، محمد ناصر الدين الألباني، نسقها/ محمد عيد العباسي، المكتب الإسلامي، بيروت (ط، الثالثة، د.ت) ص٢٩.

ومن التوسل بصفات الله – ﷻ – التوسل بأفعاله، فإن الأفعال صفات، ومثال ذلك أن يقول الإنسان:((اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم)).

فإنه بذلك يسأل الله – ﷻ– الذي منَّ بصلاته على إبراهيم وعلى آل إبراهيم أن يمنَّ بصلاته على محمد وعلى آل محمد.(١)

فالتوسل إلى الله – ﷻ– بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا، وذلك بأن يقدم شيئاً من الثناء على الله – ﷻ– قبل مطلوبة في الدعاء، فيكون من علامات قبول واستجابة الدعاء.

قال تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ الأعراف: ١٨٠، أي: ادعوا الله – تعالى– متوسلين إليه بأسمائه الحسنى، ولا شك أن صفاته العليا – ﷻ– داخلة في هذا.(٢)

قلت: إن التوسل إلى الله– تعالى– بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، أو بأي اسم من أسمائه أو صفة من صفاته – ﷻ– لا شك أن ذلك من التقرب إلى الله — تعالى– أولاً، وأنفع للعبد ثانياً، من التوسل إليه سبحانه بمخلوقاته، سواء أكانت من الأحياء أم من الأموات، وقد ثبت ذلك في كثير من الأحاديث منها ما سبق ذكره، ومنها — أيضاً– ما جاء في الحديث أن النبي ﷺ . دخل المسجد، فإذا هو برجل قد قضى صلاته، وهو يتشهد، ويقول: اللهم إني أسألك يا أله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له

---

(١) التوسل، ابن عثيمين، ص١٥٩.

(٢) دعاوى المناوئين، عبد الله الغصن، ص٤١٠، التوسل أنواعه وأحكامه، الألباني، ص٢٩.

كفواً أحد أن تغفر ذنوبي إنك أنت الغفور الرحيم. قال: فقال:((قد غفر له، قد غفر له)) ثلاثاً.(١)

إن هذه الأحاديث وما شابهها تبين مشروعية التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه أو صفة من صفاته، وأن ذلك مما يحبه الله – سبحانه –ويرضاه، ولذلك استعمله رسول الله ﷺ، وقد قال الله تبارك وتعالى:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ الحشر: ٧، فكان من المشروع لنا أن ندعوه- سبحانه- بما دعاه به النبي ﷺ. فذلك خير ألف مرة من الدعاء بأدعية ننشئها ونخترعها.(٢)

(١) أخرجه أبو داود في سننه ٣٢٣/١ رقم (٩٨٥) وقال الألباني: صحيح، والنسائي في المجتبى من السنن، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق/ عبد الفتاح أبو غدة، ومذيلة بأحكام الألباني عليها، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، (ط. الثانية، ١٤٠٦-١٩٨٦) ٥٢/٣ رقم(١٣٠)، وقال الألباني: صحيح.

(٢) التوسل أنواعه وأحكامه، الألباني، ص٣٢.

المطلب الثالث:التوسل إلى الله بالعمل الصالح

فجميع العبادات من إيمان بالله وأعمال صالحة: وسيلة، فإذا صُمت رمضان فهو وسيلة لمغفرة الذنوب، وكل عمل صالح يكون وسيلة إلى الله . تعالى ..[١]

إذاً فالتوسل إلى الله – تعالى- بعمل صالح في قضاء الحوائج كتفريج الكربات ومغفرة الذنوب وغيرها من التوسل المشروع.[٢]

وصفة هذا النوع من التوسل هو أن يقول العبد في دعائه: اللهم بإيماني بك ومحبتي لك واتباعي لرسولك اغفر لي. أو أن يقول: اللهم إني أسألك بجي لمحمد . ﷺ . وإيماني به أن تفرج عني.

أو أن يذكر المتوسل عملاً صالحاً اقترن بخوف من الله – تعالى- وتقواه ورضاه كأن يعمله طاعة لله وإخلاصاً لوجهه الكريم، فيتوسل به إلى الله في دعائه ليكون أرجى لقبول إجابته[٣].

فالتوسل بالأعمال الصالحة شرعه الله –تعالى- وارتضاه وبينه النبي صلى الله عليه وسلم، والأدلة على ذلك كثيرة من القرآن والسنة، ومنها:

قوله تعالى:﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾آل عمران: ٥٣، وقوله تعالى:﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾آل عمران: ١٩٣،وقال النبي . ﷺ .:((إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل اللهم

---

(١) التوسل، ابن عثيمين، ص ١٥٧.

(٢) دعاوى المناوئين، عبد الله الغصن، ص٤١١.

(٣) منهج الشوكاني في العقيدة، عبد اللهنومسوك ٣١٥/١، التوسل أنواعه وأحكامه، الألباني، ص٣٢.

أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رهبة ورغبة إليك لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت، فإن مُتَّ مُتَّ على الفطرة، فاجعلهن آخر ما تقول).[1]

وقال ﷺ:((خرج ثلاثة نفر يمشون فأصابهم المطر، فدخلوا غاراً في جبل فانحطت عليهم صخرة، قال: فقال بعضهم لبعض: أدعوا الله بأفضل عمل عملتموه، فقال أحدهم: اللهم إني كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنت أخرج فأرعى، ثم أجيء فأحلب، فأجيء بالحلاب، فآتي به أبوي فيشربان ثم أسقي الصبية وأهلي وامرأتي، فاحتبست ليلة فجئت فإذا هما نائمان، قال: فكرهت أن أوقظهما والصبية يتضاغون عند رِجلي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما حتى طلع الفجر، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا فرجة نرى منها السماء، قال: ففرج عنهم. وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أني كنت أحب امرأة من بنات عمي كأشد ما يحب الرجل النساء، فقالت: لا تنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار فسعيت فيها حتى جمعتها فلما قعدت بين رجلها، قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركتها فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا فرجة، قال: ففرج عنهم الثلثين. وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أني استأجرت أجيراً بفرق من ذرة، فأعطيته وأبى ذاك أن يأخذ فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته حتى اشتريت منه بقراً وراعيها، ثم جاء فقال: يا عبد الله أعطني حقي، فقلت: انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنها لك، فقال: أتستهزئ بي؟! قال: فقلت

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب إذا بات طاهراً وفضله رقم (٦٣١١)، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم رقم (٢٧١٠).

ما أستهزئ بك ولكنها لك، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا فكشف عنهم))[١]. وللحديث روايات متعددة.

في هذا الحديث استحباب الدعاء في الكرب والتقرب إلى الله -ﷻ- بذكر صالح العمل واستنجاز وعده بسؤاله، وقد أثنى النبي ﷺ عليهم بفعلهم فدل على تصويب فعلهم[٢]. أنهم إنما توسلوا إلى الله -تعالى- بهذه الأعمال الصالحة معلنين أنهم إنما فعلوها ابتغاء رضوان الله وحده ولم يريدوا بها دنيا قريبة أو مصلحة عاجلة، ورجوا الله أن يفرج عنهم ضائقتهم فاستجاب دعاءهم وكشف كربتهم وكان عند حسن ظنهم به، فأزاح الصخرة بالتدرج على مراحل ثلاث حتى انفرجت تمام الانفراج مع آخر دعوة الثالث بعدما كانوا في موت متحقق.

إن الرسول ﷺ روى لنا هذه القصة الرائعة التي كانت في بطون الغيب لا يعلمها إلا الله -تعالى- ليذكرنا بأعمال فاضلة لأناس فاضلين من أتباع الرسل السابقين لنقتدي بهم ونتأسى بأعمالهم ونأخذ من أخبارهم الدروس والعظات البالغة، وإقراراً منه ﷺ لما قاموا به من التوسل بأعمالهم الصالحة المذكورة بل إن هذا ليس إلا شرحاً وتطبيقاً عملياً للآيات القرآنية المتقدمة.[٣]

قلت: إن التوسل إلى الله -تعالى- بالأعمال الصالحة، ومنه الإيمان بالله ومحبته -ﷻ-، والإيمان بالنبي ومحبته ﷺ. توسل جائز مشروع بل هو من التوسل المحبوب إلى الله -تعالى- ولو لم يكن كذلك لما استجاب الله -تعالى- دعاء الثلاثة الذين انحطت

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب إذا اشترى لغيره بغير إذنه فرضي رقم (٢٢١٥)، صحيح مسلم، كتاب الرقاق، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال رقم (٢٧٤٣).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٦/٦٣٢.

(٣) التوسل أنواعه وأحكامه، الألباني، ص٣٧.

عليهم الصخرة بل إن التوسل بالأعمال الصالحة سبب من الأسباب الموصلة إلى مغفرة الله – ﷻ– ورحمته وسبب لاستجابة الدعاء عند الله– ﷻ–.

قال العلماء: التوسل بذلك، أي: الإيمان بالرسل وطاعتهم إلى حصول ثواب الله وجنته ورضوانه، فإن الأعمال الصالحة التي أمر بها الرسول ﷺ. هي الوسيلة التامة إلى سعادة الدنيا والآخرة[1].

إن الأعمال الصالحة أياً كانت فإنها تصح أن تكون وسيلة صحيحة إلى الله – تعالى– فمثلاً لو قال العبد البار لوالديه: اللهم إني أسألك ببري لوالدي أن توفقني ببر أولادي بي، فهذا لا شك توسل بالعمل الصالح وهو بره لوالديه، وهو توسل صحيح.

أو قال: اللهم بإتباعي لنبيك ومحبتي له وإيماني به، ونحو ذلك، فهذا توسل صحيح.

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت٧٢٨)، تحقيق/ ربيع مدخلي، مكتبة لينة، مصر (ط، الأولى ١٤٠٩هـ–١٩٨٨م)، ص٢٤١.

المطلب الرابع:التوسل إلى الله– تعالى– بدعاء الصالحين

كأن يقع المسلم في ضيق شديد أو تحل به مصيبة كبيرة، ويعلم من نفسه التفريط في جنب الله – سبحانه – ويحب أن يأخذ بسبب قوي إلى الله – تعالى– فيذهب إلى رجل من أهل الصلاح والتقوى أو أهل الفضل والعلم بالكتاب والسنة، فيطلب أن يدعو له ربه ليفرج عنه كربه ويزيل عنه همه، فهذا توسل مشروع دل عليه الشرع وأرشد إليه الدين، وقد وردت أمثلة له في السنة النبوية كما وقعت نماذج لذلك من فعل الصحابة الكرامِ رضوان الله عليهم[١].

ومن أدلة مشروعية هذا النوع من التوسل ما رواه أنس بن مالك . ﷺ أن رجلاً دخل يوم الجمعة المسجد والنبي . ﷺ يخطب فقال: يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا، قال: فرفع رسول الله . ﷺ يديه فقال:((اللهم اسقنا اللهم اسقنا اللهم اسقنا)) قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا شيئاً، فطلعت سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، ما والله ما رأينا الشمس ستاً، ثم دخل رجل في الجمعة المقبلة ورسول الله . ﷺ قائماً يخطب، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها، قال: فرفع رسول الله . ﷺ يديه ثم قال: ((اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والجبال والضراب والأودية ومنابت الشجر)) قال: فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس.[٢]

---

(١)التوسل أنواعه وأحكامه، الألباني، ص٣٨.

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في المسجد الجامع رقم (١٠١٣)، صحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء رقم (٨٩٧).

دل الحديث على جواز سؤال الدعاء من أهل الخير ومن يرجى منه القبول وإجابتهم لذلك، وقد كان الصحابة – رضي الله عنهم – يتوسلون بدعاء النبي ﷺ في حياته.[١]

وهكذا كان الصحابة –رضي الله عنهم– يتوسلون في حياة النبي ﷺ بدعائه فيطلبون منه أن يدعو لهم، وهم يؤمِّنون على دعائه، فلما مات ولم يعد من الممكن أن يدعو لهم، قال عمر ﷺ لما خرجوا يستسقون((اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا)) ومعنى ذلك أنهم يتوسلون بدعاء العباس– رضي الله عنهم – وليس المراد إنا نقسم عليك بجاهه عندك، إذ لو كان ذلك مراداً لكان جاه النبي ﷺ أعظم وأعظم من جاه العباس[٢].

قلت: جاء في الصحيح((أن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: "اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون))[٣]. ومعنى قول عمر ﷺ((وإنا نتوسل إليك بعم نبينا)) أي بدعائه وشفاعته لا بذاته، فجعل دعاء العباس ﷺ وسيلة إلى الله – ﷻ–

وقد ثبت في كتب الحديث دعاء العباس ﷺ حين استسقى به عمر ﷺ ومن ذلك قول العباس في دعائه((اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة، وقد

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٦٢٤/٢، أصول الدين عند أبي حنيفة، عبدالله الخميس، ص٢٧٠.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن أبي العز الدمشقي (ت٧٩٢هـ)، تحقيق/عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت (ط، الثانية، ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م) ٣٦٤/١،٣٦٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحة، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا رقم (١٠١٠).

توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث)) فأزاحت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس[١].

قال العلماء: وفي القصة دليل على أن التوسل بدعاء الرسول ﷺ. قد انقطع بموته، ولو كان التوسل بالرسول بعد موته جائز لما عدل الصحابة – رضي الله عنهم – عن الرسول ﷺ إلى العباس ﷺ وهذا من الوضوح بحيث لا يخفى على ذي لب.[٢]

ومثل استسقاء عمر بالعباس استسقاء معاوية – رضي الله عنهم– لما أجدب الناس بالشام بيزيد بن الأسود الجرشي(من سادة التابعين توفي سنة٧١هـ) قائلاً: ((اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا، اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بيزيد بن الأسود الجرشي يا يزيد ارفع يديك إلى الله)) فرفع يديه ورفع الناس أيديهم، فما كان أن أوشك أن ثارت سحابة في الغرب كأنها ترس وهبت لها ريح فسقتنا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم.[٣]

فهذه الأمثلة تبين أن الصحابة . رضي الله عنهم .كانوا يتوسلون بالنبي . ﷺ . ويستسقون به حال حياته فلما انتقل إلى الرفيق الأعلى عدلوا عنه إلى غيره مع أنه أولى وأفضل من العباس ويزيد ومن غيرهما بل أفضل الخلق أجمعين، وهذا لا يخفى على أحد منا فضلاً عن الصحابة وأن جاهه ومنزلته وكرامته على الله — تعالى– لم ينقص منه شيء بوفاته لكنهم عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بغيره؛ لأنهم عرفوا أن التوسل بذاته أمر

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٦١٢/٢.

(٢) أصول الدين عند أبي حنيفة، محمد الخميس، ص٢٧١.

(٣) ذكره الألباني في التوسل أنواعه وأحكامه، ص٤١. وقال الألباني: صحيح.

غير مشروع، حتى وإن كان جسده الشريف لم يزل ولا يزال محفوظاً في قبره إلى يوم البعث كما ثبت ذلك في السنة المطهرة.(١)

وأما التوسل كما قال عمر ﷺ فإنه توسل بدعائه لا بذاته، ولهذا عدلوا عن التوسل بالنبي ﷺ إلى التوسل بعمه العباس ولو كان التوسل بذات العباس لكان التوسل بذات النبي ﷺ. حتى بعد موته أولى من التوسل بالعباس، فلما عدلوا عن التوسل به ﷺ. إلى التوسل بالعباس علم أن ما يفعل في حياته قد تعذر بموته.(٢)

ولكن ينبغي أن تلاحظ أنك إذا طلبت من شخص أن يدعو لك وهو ممن ترجى إجابته أن يكون غرضك بذلك مصلحته هو أولاً لا أنت، فكيف يكون مصلحته هو؟ لأن ذلك من الدعاء للمسلم بظهر الغيب ولأن الإنسان إذا دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك: آمين، ولك بمثله.(٣)

قلت: جاء في الصحيح أن النبي ﷺ. قال:((دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثله))(٤). أي بمثل ما دعوت لأخيك به.

قال الألباني: وما عدا هذه الأنواع الثلاثة من التوسلات ففيه خلاف، وقد أنكر التوسل بغيرها العلماء المحققون في العصور الإسلامية المتعاقبة، ولأنه غير جائز ولا مشروع، ولم يرد فيه دليل تقوم به الحجة، وكشأننا في الأمور الخلافية، ندور مع الدليل

---

(١) منهج الشوكاني في العقيدة، عبد الله نومسوك ١/٣٢٠.

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص٨٢.

(٣) التوسل، ابن عثيمين، ص١٦٣.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحة، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب رقم (٢٧٣٣).

حيث دار ولا نتعصب للرجال ولا ننحاز لأحد إلا للحق كما نراه ونعتقده، وقد رأينا في قضية التوسل التي نحن بصددها الحق مع من حظروا التوسل بمخلوق ولم نر لمجيزيه دليلاً صحيحاً يعتد به، وهيهات أن يجدوا شيئاً صحيحاً من الكتاب أو السنة يؤيد ما يذهبون إليه أو يسند ما يدعونه اللهم إلا شبهاً واحتمالات رد عليها العلماء.

إن الأدعية الواردة في القرآن الكريم وهي كثيرة لا نجد في شيء منها أبداً التوسلَ بالجاه أو الحرمة أو الحق أو المكانة لشيء من المخلوقات، ومن هذه الأدعية على سبيل المثال لا الحصر:

قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾البقرة: ٢٨٦،وقوله تعالى: ﴿ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾يونس: ٨٥ – ٨٦.

إلى آخر ما هنالك من الأدعية القرآنية وليس في شيء منها ذاك التوسل المبتدع الذي يدندن حوله المتعصبون ويخاصم فيه المخالفون.

وإذا انتقلنا إلى السنة النبوية لنطلع منها على أدعية النبي ﷺ التي ارتضاها الله – تعالى– له وعلمه إياها وأرشدنا إلى فضلها وحسنها نراها مطابقة لأدعية القرآن سالفة الذكر، من حيث خلوها من التوسل المبتدع.(١)

قلت: ومن أدعية السنة النبوية دعاء الاستخارة المشهور فقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ كان يُعَلِّمُ أصحابه الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن فيقول:((إذا

(١) التوسل أنواعه وأحكامه، الألباني، ص ٤٣–٤٥.

هَـمَّ أحـدكم بـالأمر فليركـع ركعتـين، ثم يقـول: اللهـم إني أستخيرك بعلمـك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به. ويسمي حاجته))[(١)].

وهكذا علم النبي ﷺ أصحابه – رضي الله عنهم – كيفية التوسل إلى الله – ﷻ– وهذا يعني أن التوسل بذوات الأشخاص أو جاههم أو قربهم من الله – تعالى– سواء في حياتهم أو بعد مماتهم لا يجوز، ولو كان جائزاً لبينه النبي ﷺ. لأصحابه– الكرام – ولأمرهم أن يتوسلوا بذاته أو جاهه أو قربه من الله –تعالى– كما علمهم أن يتوسلوا إليه – تعالى– بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا أو بدعاء نبيه ﷺ لأنه لم يدع شيئاً فيه مصلحة لأمته إلا بينه لهم وأرشدهم إليه وعلمهم إياه، وقد بين الخالق – ﷻ– أن الدين اكتمل ورضيه لهذه الأمة، قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ المائدة: ٣،فعلمنا بذلك أن التوسل المشروع ما ثبت في الكتاب والسنة، وكل ما خالف التوسل المشروع فهو توسل غير مشروع بل هو من التوسل المنهي عنه شرعاً، وهذا ما سنتناوله إن شاء الله–تعالى– في المبحث الثاني.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحة، كتاب التهجد، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى رقم (١١٦٦)

المبحث الثاني

التوسل غير المشروع: وهو مالا دليل عليه من كتاب ولا سنة

ويحتوي على أربعة مطالب:

المطلب الأول:التوسل إلى الله – تعالى– بذوات المخلوقين

وذلك أن يجعل المتوسل ذات النبي ﷺ أو غيره وسيلة في دعاء الله – ﷻ– كأن يقول في دعائه: اللهم إني أسألك بنبيك محمد ﷺ..[١]

إن السؤال بالنبي ﷺ يجوزه طائفة من الناس ونقل في ذلك آثار عن بعض السلف وهو موجود في دعاء كثير من الناس ولكن ما روي عن النبي ﷺ في ذلك كله ضعيف بل موضوع وليس عنه حديث ثابت قد يظن أن لهم فيه حجة إلا حديث الأعمى وحديث الأعمى لا حجة لهم فيه فإنه صريح في أنه إنما توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته.[٢]

قلت: جاء في الحديث أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافني، قال:((إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء "اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد

(١) أصول الدين عند أبي حنيفة، محمد الخميس، ص ٢٧٢.

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص ١١٤-١١٦.

نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي لي، اللهم فشفعه فيّ)).[١]

قال بعض العلماء: إن التوسل بالنبي ﷺ الذي ورد في حديث الأعمى هو في التحقيق توسل بدعائه وشفاعته لا بذاته، لأن الأعمى طلب من النبي ﷺ أن يدعو له ليرد الله عليه بصره فأمره النبي أن يدعو هو – أيضاً– ويسأل أن يقبل الله شفاعة نبيه ﷺ فيه فقوله في دعائه: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ أي: شفاعة نبيك بدعائه فكان الرسول في هذا شافعاً له بالدعاء وهو سائل قبول شفاعة الرسول ولهذا قال في دعائه أيضاً((اللهم فشفعه فيّ)).

إذاً لا دليل في الحديث على التوسل بذات النبي ﷺ وإنما فيه دليل على التوسل بدعائه وقد انقطع بموته، ولو كان فيه دليل على التوسل بذاته ﷺ لكان ذلك التوسل قائماً بعد موته ولما عدل الصحابة إلى غيره لأن ذاته ﷺ عند الله – تعالى– أعظم وأعظم حتى بعد موته من ذات العباس رضي الله عنه وذات غيره.[٢]

ومعنى قوله:((أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد)) أي: بدعائه وشفاعته كما قال عمر رضي الله عنه:((اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا)) فالحديثان معناهما واحد، وهو أن النبي ﷺ علم رجلاً أن يتوسل به في حياته، كما ذكر عمر أنهم كانوا يتوسلون به في حياته إذا أجدبوا، ثم إنهم بعد موته إنما كانوا يتوسلون بغيره بدلاً عنه، فلو كان التوسل به حياً وميتاً سواء، والمتوسل به الذي دعا له الرسول كمن لم يدع له الرسول

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن ٥٦٩/٥ رقم (٣٥٧٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وقال الألباني: صحيح، وابن ماجه في السنن ٤٤١/١ رقم (١٣٨٥) وقال أبو إسحاق: هذا حديث صحيح، وقال الألباني: صحيح.

(٢) منهج الإمام الشوكاني في العقيدة،عبد الله نومسوك ٣٣٣/١.

لم يعدلوا عن التوسل به، وهو أفضل الخلق وأكرمهم على ربه وأقربهم إليه وسيلةً إلى أن يتوسلوا بغيره ممن ليس مثله، وكذلك لو كان أعمى توسل به ولم يدع له الرسول بمنزلة ذلك الأعمى لكان عميان الصحابة أو بعضهم يفعلون مثل ما فعل الأعمى فعدولهم عن التوسل به ﷺ إلى غيره مع أنهم السابقون الأولون المهاجرون والأنصار دليل على أن المشروع من التوسل ما سألوه دون ما تركوه.[١]

ومن التوسل غير المشروع كأن يقول المتوسل: اللهم إني أتوسل إليك بفلان أي: بذاته أن تقضي حاجتي في طلب رزق أو علم أو فك كُربة أو غيرها.

وهذا النوع من التوسل لم يفعله الصحابة رضي الله عنهم مع الرسول ﷺ لا في الاستسقاء ولا في غيره لا في حياته ولا بعد مماته لا عند قبره ولا عند غير قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم.

إن توسل الصحابة بالنبي ﷺ المقصود به التوسل بدعائه في حياته لا بذاته في حياته أو بعد مماته.[٢]

قال بعض العلماء: التوسل إلى الله ـ تعالى ـ بالنبيين ـ عليهم السلام ـ هو التوسل بالإيمان بهم وبطاعتهم كالصلاة والسلام عليهم ومحبتهم وموالاتهم أو بدعائهم وشفاعتهم. وأما نفس ذواتهم فليس فيها ما يقتضي حصول مطلوب العبد، وإن كان لهم عند الله الجاه العظيم والمنزلة العالية بسبب إكرام الله لهم وإحسانه إليهم وفضله عليهم.[٣] عليهم.[٣]

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٥٩-٢٦٠ وهامش ٢ص١١٥.

(٢) دعاوى المناوئين، عبد الله الغصن، ص٤١٧.

(٣) مجموع الفتاوى لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، تحقيق/ أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء (ط. الثالثة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م) ١٣٣/٢٧.

وإذا لم نتوسل إليه . سبحانه . بدعائهم ولا بأعمالنا، ولكن توسلنا بنفس ذواتهم لم تكن نفس ذواتهم سبباً يقتضي استجابة دعائنا فكنا متوسلين بغير وسيلة، ولهذا لم يكن هذا منقولاً عن النبي . ﷺ . نقلاً صحيحاً ولا مشهوراً عن السلف.(١)

ولذلك لجأ عمر . رضي الله عنه . وهو العربي الأصيل الذي صحب النبي . ﷺ . ولازمه في أكثر أحواله، وعرفه حق المعرفة وفهم دينه حق الفهم، ووافقه القرآن في مواضع عدة لجأ إلى توسل ممكن، فاختار العباس . رضي الله عنه . لقرابته من النبي . ﷺ . أولاً، ولصلاحه ودينه وتقواه ثانياً، وطلب منه أن يدعو لهم بالغيث والسقيا. وما كان لعمر ولا لغير عمر أن يدع التوسل بالنبي . ﷺ . ويلجأ إلى التوسل بالعباس أو غيره لو كان التوسل بالنبي . ﷺ . ممكناً، وما كان من المعقول أن يقر الصحابة – رضي الله عنهم – عمر على ذلك أبداً؛ لأن الانصراف عن التوسل بالنبي . ﷺ . إلى التوسل بغيره ما هو إلا كالانصراف عن الاقتداء به . ﷺ . في الصلاة إلى الاقتداء بغيره سواء بسواء، ذلك أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعرفون قدر نبيهم ومكانته وفضله معرفة لا يدانيهم فيها أحد.(٢)

لذلك لم يسمع أن أحداً في زمانه . ﷺ . ولا في القرون الأولى المشهود لأهلها بالنجاة سأل الله بأحد من خلقه ولا توسل إليه بأحد من خلقه لا نبي ولا ملك بل كانوا يكرهون ذلك وهم أعلم منا بهذه المطالب، ثم إن سؤال الله بأحد من خلقه بدعة من أعظم البدع وأشنعها والله – تعالى– أعز وأجل من أن يسأل بأحد من خلقه، ومن فعل ذلك لا يكون موافقاً لمراد الله في الدعاء بل هو مبتدع ضال ولكنه لا يكفر؛ لأنا معشر أهل الحق لا نكفّر أحداً من أهل القبلة لمجرد بدعة ابتدعها أو أمرٍ استحدثه ولكن لا

---

(١) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، ٣٣٧/١.

(٢) التوسل أنواعه وأحكامه، الألباني، ص٥٧.

نتبع أحداً أتى بما لم يأذن به الله، وكل أمر خالف ما كان عليه الرسول ﷺ. وأصحابه -رضي الله عنهم - فهو رأي مردود على مستحدثه.

والمتوسل بالذوات ينهى ويحبس ويعزر لابتداعه ما ليس في الدين ولم يرد عن أحد من السلف ولكنه لا يكفر.[1]

(١) السيف الباتر لأعناق عباد المقابر، ضمن مجموعة رسائل في علم التوحيد، عقيل بن يحيى الإرياني (ت١٣٤٦هـ)، صححه/ عبد الرحمن بن يحيى الإرياني، وزارة الإعلام والثقافة، الجمهورية اليمنية (ط. الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، ص ٢١٢-٢١٤.

المطلب الثاني:التوسل إلى الله – تعالى– بحق فلان أو جاهه

من التوسل غير المشروع التوسل إلى الله – ﷻ– بحق أحد من خلقه أو جاهه ونحو ذلك كأن يقول المتوسل في دعائه: اللهم إني أتوسل بحق فلان عليك أو بجاهه عندك أن تغفر لي.(١)

أو أن يقول: أسألك بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام.

أو أن يقول: بجاه فلان عندك أو نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك، ومراده: لأن فلانا عندك ذو وجاهة وشرف ومنزلة، فأجب دعائي، فهذا توسل محذور، لأنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة – رضي الله عنهم – يفعلونه في حياة النبي ﷺ. لفعلوه بعد موته، وإنما كانوا يتوسلون في حياته بدعائه فيطلبون منه ﷺ. أن يدعو لهم وهم يؤمِّنون على دعائه كما ثبت في الاستسقاء وغيره، فلما مات ﷺ. استسقى عمر بالعباس– رضي الله عنهما–، أي بدعاء العباس ربه وشفاعته وسؤاله كما سبق بيانه، وليس المراد: إنا نقسم عليك به أو بجاهه عندك، أنه لو كان ذلك مراداً لكان جاه النبي ﷺ. أعظم وأعظم من جاه العباس(٢) حتى بعد موته ﷺ.

إن التوسل إلى الله – ﷻ– بجاه الرسول ﷺ. لا يجوز؛ لأن ذلك لا ينفع المتوسل به لأن جاهه ﷺ. ومنزلته عند الله ينتفع بها الرسول نفسه، وأما المتوسل بها فليس له فيها منفعة؛ بدليل أن الصحابة رضي الله عنهم قحطوا في عهد عمر فخرجوا يستسقون بالعباس– رضي الله عنهم – فقام العباس يدعو الله بالسقيا فسقوا. وفي هذا

---

(١) أصول الدين عند أبي حنيفة، محمد الخميّس، ص٢٧٤.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الدمشقي، ٣٦٢/١-٣٦٤.

دليل على أن التوسل بالنبي ﷺ . الوارد عن الصحابة رضي الله عنهم إنما هو توسل بدعائه لا بذاته ولا بجاهه[١] كما سبق بيانه.

ولا ريب أن للأنبياء والصالحين عند الله الجاه العظيم لكن ما لهم عند الله من المنازل والدرجات أمر يعود نفعه إليهم، ونحن ننتفع من ذلك باتباعنا ومحبتنا لهم، فإذا توسلنا إلى الله – تعالى- بإيماننا بنبيه ومحبته وموالاتنا واتباع سنته . ﷺ . فهو من أعظم الوسائل.[٢]

والتوسل إلى الله – تعالى- بجاه أحد أو حقه على الله – تعالى- أو حرمته ومنزلته عند ربه سبحانه، هو توسل باطل وعلة ذلك ما يلي:

أولاً: ليس في النصوص الشرعية ما يثبت صحة هذا التوسل.

ثانياً: أن جاه المخلوق إنما استفاده من قربه من شرع الله – تعالى- وبكثرة العمل الصالح.

ثالثاً: أن هذه المنزلة مختصة به دون غيره.

رابعاً: ليس لهذا الجاه أو الحرمة أو المنزلة تأثير على بقية المخلوقين من حيث التوسل بها لهم في الدنيا[٣].

قلت: إن الله – ﷻ- لم يجعل منزلة أحد من خلقه أو جاه أحد منهم . وإن كان نبياً . سبباً موجباً لإجابة الدعاء أو قضاء الحاجات أو كشف الكُربات لأنه لا معنى لقول المتوسل: اللهم إن فلاناً ذو منزلة رفيعة عندك أو أن فلاناً ذو جاه عظيم عندك فاقض حاجتي، وذلك:

---

(١) التوسل، ابن عثيمين، ص ١٦٥.

(٢) قاعدة جليلة، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص٢٧٥.

(٣) دعاوى المناوئين، عبد الله الغصن، ص٤١٨.

أولاً: أنه لا علاقة بين منزلة المتوسَّل به وجاهه الرفيع وإجابة دعاء المتوسِّل، بمعنى أن منزلة وجاه المتوسَّل به ليس وسيلة مشروعة.

ثانياً: أن جاه المتوسَّل به أو منزلته من عمله ليس للمتوسِّل في ذلك نصيب بل هو بمثابة التوسل بما لا يملك وما ليس له الحقُّ فيه ولذا فلا فائدة له في ذلك التوسل.

المطلب الثالث:الإقسام على الله – تعالى–

وهو أن يحلف المتوسل على الله – ﷻ– أن يفعل أو يحلف عليه أن لا يفعل كأن يقول: والله ليفعلن الله كذا أو والله لا يفعل الله كذا.(١)

أو يقول: اللهم إني أقسم عليك بفلان أن تقضي حاجتي، فهذا توسل غير مشروع لأن الحلف بالله من تعظيمِه؛ وتعظيمُهُ عبادة ومن صرف هذه العبادة لغير الله فقد أشرك.(٢)

جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال:((من حلف بغير الله فقد أشرك))(٣) أو أن يقسم العبد على الله – تعالى– بأحد من مخلوقاته، فيقول: بحق نبيك أو بحق فلان. فهذا محذور من وجهين:

الأول: أنه أقسم بغير الله، ولا يجوز الحلف بغير الله للحديث المتقدم.

الثاني: اعتقاده أن لأحدٍ على الله حقاً، وليس لأحدٍ على الله حق إلا ما جلعه الله حقاً على نفسه كقوله تعالى:﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾الروم: ٤٧،.

وكذلك ما ثبت من قول النبي ﷺ:((يا معاذ، أتدري ما حق الله على عباده؟)) قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال:((حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟)) قلت: الله ورسوله أعلم، قال:((حقهم عليه أن

---

(١) دعاوى المناوئين، عبد الله الغصن، ص٢٤٢.

(٢) أصول الدين عند أبي حنيفة، عبد الله الخميس، ص٢٧٨.

(٣) أخرجه أبو داود في السنن ٢٤٢/٢ رقم (٣٢٥١) وقال الألباني: صحيح، والترمذي في السنن ١١٠/٤ رقم (١٥٣٥) وقال الألباني: صحيح، وابن حبان في صحيحة ١٩٩/١٠ رقم (٤٣٥٨) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

لا يعذبهم))[١]. فهذا حق ثبت بكلماته التامة ووعده الصادق لا أن العبد نفسه يستحق على الله – تعالى- شيئاً كما يكون للمخلوق على المخلوق، فإن الله . جل وعلا- هو المنعم على العباد بكل خير، وحقهم المثبت بوعده هو أن لا يعذبهم، وترك تعذيبهم معنى لا يصلح أن يقسم به ولا نسأل بسببه ونتوسل به.[٢]

والقسم على الله – ﷻ- أنواع منها:

الأول: أن يُقسم على ربه لقوة رجائه وحسن ظنه بربه، وهؤلاء قليل، جاء في الحديث عن أنس . ﷺ أن الربيِّع عمته كسرت ثنية جارية، فطلبوا إليها العفو، فأبوا فعرضوا الأرش، فأبوا، فأتوا رسول الله . ﷺ . وأبو إلا القصاص فأمر رسول الله . ﷺ . بالقصاص، فقال أنس بن النضر: يا رسول الله أتكسر ثنية الربيع؟ لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها. فقال رسول الله . ﷺ .:((يا أنس كتاب الله القصاص)) فرضي القوم فعفوا، فقال رسول الله . ﷺ .:((إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره)).[٣]

وأما إذا كان الحامل لهذا القسم: حجر فضل الله – ﷻ- والإعجاب بالنفس وسوء الظن به –سبحانه – فهذا محرم وذريعة لإحباط عمل المقسم، جاء في الحديث أن

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب من أجاب بلبيك وسعديك رقم (٦٢٦٧)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً رقم (٣٠).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الدمشقي، ٣٥٩/١، ٣٦٠.

(٣) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر) البقرة(١٧٨) رقم (٤٥٠٠)، صحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب إثبات القصاص في الأسنان رقم (١٦٧٥).

النبي ﷺ:((حدَّث أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، وأن الله ـ تعالى ـ قال: من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك))[١].

الثاني: القسم على الله – تعالى– بأحدٍ من خلقه، فهذا لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ولا عن التابعين بل النص على تحريمه، فلا يجوز الحلف بغير الله لقول النبي ﷺ:((من حلف بغير الله فقد أشرك))[٢] فلا يحل لأحد أن يقسم بالمخلوقات البتة وهو حرام إجماعاً.[٣]

(١) أخرجه مسلم في صحيحة، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى رقم (٢٦٢١).

(٢) سبق تخريجه ص١٩ رقم (٦٣).

(٣) الفتاوى الكبرى، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت٧٢٨هـ)، تقديم/ حسنين مخلوف، دار المعرفة (د، ط، ت) ٤/٣٧٠، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص٨٣-٨٥.

المطلب الرابع: التوسل بالأولياء

إن توسل المشركين بأصنامهم وأوثانهم وتوسل الجاهلين بأوليائهم هو توسل شركي لا بدعي فقط، ولا يصح أن نسميه توسلاً بل هو شرك محض، لأن هؤلاء المتوسلين يدعون من يزعمون أنهم وسيلة، يأتي الرجل إلى من يزعمه ولياً ويقول: يا ولي الله أنقذني، أو يا آل البيت أنقذوني، أو يانبي الله أنقذني، فهذا لا يصح أن نسميه وسيلة ولكن نسميه شركاً؛ لأن دعاء غير الله . تعالى . شرك في الدين وسفه في العقل.

شرك في الدين، لأنهم اتخذوا شريكاً مع الله – ﷻ–، وسفه في العقل، لأن الله – تعالى– يقول:[1] ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾الأحقاف: ٥،أي: لا أحد أضل منه ولا أجهل، فإنه دعاء من لا يسمع، فكيف يطمع في الإجابة فضلاً عن جلب نفع أو دفع ضر؟ فتبين بهذا أنه أجهل الجاهلين وأضل الضالين، والاستفهام للتقريع والتوبيخ.[2]

قلت: ومن المتوسلين بالأولياء – سواء كان الولي حياً أو تراباً منبثاً– فيأتي المتوسل إلى من يزعم أنه ولي ويقول: يا ابن علوان أو يا عيدروس أو يا....، اشف مريضي أو اقض حاجتي أو أظهر ضائعتي أو ارزقني الولد أو المدد المدد أو نحو ذلك. فيطلب ممن يزعم أنه ولي ما لا يقدر عليه إلا الله – ﷻ– من مدد وشفاء مرض وقضاء حاجة وولد وكشف كرب وغير ذلك، في حين أن هذا الولي لا ينفع نفسه فكيف ينفع غيره؟

---

(١) التوسل، ابن عثيمين، ص ١٦٥-١٦٦.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ١٤/٥.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾الفرقان: ٣،وقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾طه: ٨٩،والغريب أن المتوسِّل يعتقد أن من زعم أنه ولي يسمع دعاءه ويلبي طلبه ويقبل توسله في حين أن هذا الولي خاصة إذا كان ميتاً، هو بحاجة ماسة إلى أن يدعو له ا لمتوسِّل به بالرحمة والمغفرة.

جاء في تفسير آية الفرقان سابقة الذكر: أي لا يقدرون على أن يجلبوا لأنفسهم نفعاً ولا يدفعوا عنها ضرراً، وقدم ذكر الضر، لأن دفعه أهم من جلب النفع، وإذا كانوا بحيث لا يقدرون على الدفع والنفع فيما يتعلق بأنفسهم فكيف يملكون ذلك لمن يعبدهم[١]، والتوسل عبادة يجب أن تكون بما هو مشروع.

ويوم القيامة لا ينفعونهم قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾الأحقاف: ٦،فوصف الله – ﷻ– هذه المدعوات بعجزها على الاستجابة حتى لو استمر دعاءها إلى يوم القيامة وبأنها غافلة لا تدري من يدعوها ولا تحس بشيء من ذلك، وإذا كان يوم القيامة وهو وقت الحاجة الحقيقية إذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين.[٢]

قلت: ولا يعني هذا أننا لا نؤمن بكرامات أولياء الله الصالحين من المؤمنين المتبعين للكتاب والسنة المطهرة فهم أولياء حقاً بل إن ذلك ثابت بالكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟

(١) فتح القدير، الشوكاني، ٦١/٤.

(٢) التوسل، ابن عثيمين، ص ١٦٦.

يَتَّقُونَ ﴾يونس: ٦٢ - ٦٣، وفي الحديث القدسي((من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب))[١].

وما ورد من كرامات الصالحين متواتر لا سبيل لإنكاره، ولكن لا نغلو في أحد من الأولياء ولا نعتقد أنهم يملكون ضرًّا أو نفعاً لغيرهم، وأن الغلو فيهم والتوسل بهم . خاصة بعد موتهم .كما يفعل القبورية وغلاة الصوفية محرم أشد تحريم بل هو شرك بالله – تعالى– ولا شك في ذلك.

قال ابن عثيمين: ولا يصح أن نقول إن ذلك وسيلة بل هو شرك أكبر مخرج عن الدين:

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾المؤمنون: ١١٧،فسمى الله هذا الداعي كافراً.

فإن قال قائل: إن هؤلاء ربما يدعون هؤلاء الأولياء ويحصل مطلوبهم ثم يأتون ويقولون دعونا الولي الفلاني فأجاب فما موقفنا من ذلك؟

فالجواب: موقفنا من ذلك أن الله – تعالى – قد يحدث هذا الشيء عند الدعاء لا بالدعاء، امتحاناً للداعي فقد يأتي الإنسان ويدعو هذا الولي صاحب القبر بدعاء، ثم يحدث له ما دعا به امتحاناً من الله . ﷻ لا لأن هذا الولي هو الذي أعطاه ذلك لأننا نعلم علم اليقين أن هذا الولي لن ينفعه ولن يستجيب له، لكن قد يبتلى والابتلاء بتسهيل المعصية.[٢]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحة، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم (٦٥٠٣).

(٢) التوسل، ابن عثيمين، ص ١٦٦.

الخاتمة

النتائج: لقد توصل الباحث من خلال هذا البحث إلى نتائج كثيرة من أهمها:

أولاً: أن للوسيلة في اللغة العديد من المعاني وثبت ذلك أيضاً في القرآن والسنة وأقوال العلماء.

ثانياً: إن كل وسيلة يتوسل بها الإنسان إلى الله – ﷻ– يجب أن تكون وسيلة صحيحة أقرها الشرع وبينها النبي ﷺ..

ثالثاً: على المتوسِّل أن يقصد بتوسله من أخيه المسلم بالدعاء منفعة أخيه الداعي له أولاً ومصلحة المدعو له ثانياً؛ لأن ذلك حكمه حكم دعاء المسلم لأخيه المسلم في ظهر الغيب.

رابعاً: أن كل توسل خالف التوسل المشروع فهو توسل غير مشروع، وقد يكون بدعيا أو شركيا، وهذا لا شك له تأثيره السلبي على عقيدة المسلم بل قد يكون توسلاً مخرجاً من الملة الإسلامية والعياذ بالله – ﷻ– من ذلك.

التوصيات: يمكن للباحث من خلال هذا البحث ان يضع العديد من التوصيات من أهمها:

أولاً: على المسلم أن يكون حريصاً أشد الحرص على عقيدته، وأن يعتمد على المصادر الأساسية وهي القرآن والسنة، وأن يستقي عقيدته من هذين المصدرين.

ثانياً: على المسلم الاقتداء بالرسول ﷺ. وبصحابته – رضي الله عنهم – ومن تبعهم من السلف الصالح على مر الزمان.

ثالثاً: على العالم العارف أن يُعلم ويبين للآخرين العقيدة الصحيحة والسليمة، وأن يوضح لهم ممارساتهم الخاطئة في التوسل أو غيره، وأن يوجههم إلى الجانب الصحيح من الاعتقاد وغيره من تعاليم الدين، ولا يبخل أو يكتم ما يعلم لأن بيان ذلك

وإظهاره من تغيير المنكر بل واجب ديني وعقائدي على كل عالم مستطيع على ذلك؛ لقوله ﷺ:((من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار))[١].

وقوله ﷺ:((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان))[٢].

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وخير الأوليين والآخرين وهادي الحائرين إلى يوم الدين.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٨٢/١ رقم (٣٤٩) وقال الحاكم: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين وليس له علة ووافقه الذهبي، وابن حبان في صحيحة ٥٩٧/١ رقم (٩٥) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده على شرط الصحيح.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحة، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص رقم (٤٩).